

جامعة وابل  
كلية التربية (الاصفي)

# ملوك الأرض في القرآن الكريم

## عبرة وتاريخ

إعداد

أ.م.د. رعد طالب كريم      أ.م.د. محمود فياض الزوبعي

٢٠١٠م

١٤٣٠هـ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين ، وآله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين

وبعد....

فإن إيتاء الملك ونزعه من أمر الله تعالى ( قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )<sup>(١)</sup>

وقد ذكر القرآن الكريم بعض الملوك على اختلاف أوصافهم لحكم متعددة ، ولاشك أن في ذكره لهم أدق وأعظم توثيق تاريخي لا يمكن أن يناله تحريف ، أو يعتريه خطأ.

فهل تجوز محاكمة القرآن الكريم إلى التاريخ ؟ والجواب : أنه لا يجوز وذلك لسببين إثنين<sup>(٢)</sup> :

أولهما : أن التاريخ مولود حديث العهد ، فاتته أحداث لا تحصى في تاريخ البشرية ، لم يعلم عنها شيئاً . والقرآن يروي بعض هذه الأحداث التي ليس لها لدى التاريخ علم عنها.

وثانيهما : أن التاريخ وإن وعى بعض هذه الأحداث هو عمل من أعمال البشر القاصرة يصيبه ما يصيب جميع أعمال البشر من القصور والخطأ والتحريف . ونحن نشهد في زماننا هذا الذي تيسرت فيه أسباب الاتصال ووسائل الفحص أن الخبر الواحد أو الحادث الواحد يروى على أوجه شتى ، وينظر إليه من زوايا مختلفة ، ويفسر تفسيرات متناقضة . ومن مثل هذا الركام يصنع التاريخ ، مهما قيل بعد ذلك في التمهيص والتدقيق! فمجرد الكلام عن استفتاء التاريخ فيما جاء به القرآن الكريم من القصص ، كلام تنكره القواعد العلمية المقررة التي ارتضاها البشر ، قبل أن تنكره العقيدة التي تقرر أن القرآن هو القول الفصل . وهو كلام لا يقول به مؤمن بالقرآن ، ولا مؤمن بوسائل البحث العلمي على السواء . إنما هو مراء.

وقد اهتم العلماء بدراسة الملوك لما لهم من أثر كبير في صلاح وفساد الامم ، فعن مجاهد أنه قال (ملك الدنيا أربعة : مؤمنان وكافران أما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر).

ومن هذا فقد جاءت الدراسة على أربعة مباحث هي : المبحث الأول : ملوك الأرض من الأنبياء ، وهم (داود عليه السلام ، وسليمان عليه السلام ، ويوسف عليه السلام الذي شارك في ملك مصر) .

المبحث الثاني : ملوك الأرض الذين مدحهم القرآن ، وهم ( ذو القرنين ، وبلقيس ملكة سبأ ، وطالوت).

المبحث الثالث : ملوك الأرض الذين ذمهم القرآن ، وهم ( فرعون مصر ، والنمرود ، والملك الظالم في قصة موسى والعبد الصالح).

المبحث الرابع : الملوك الذين سكنت عنهم القرآن ، وهم ( ملك مصر في قصة يوسف عليه السلام ، وتبع اليماني).

نسأله تعالى القبول إنه سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحثان

## المبحث الأول :ملوك الأرض من الأنبياء

### أولا :داود عليه السلام

### ثانيا :سليمان عليه السلام

### ثالثا :يوسف عليه السلام الذي شارك في ملك مصر .

### أولا :داود عليه الصلاة والسلام

قال تعالى ( فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ )<sup>٣٤</sup>

يبين النص القرآن إصطفاء الله تعالى لداود عليه الصلاة والسلام بالنبوة والملك.

وهو داود بن زكريا بن رشوى ، وكان من سبط يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وكان من أهل بيت المقدس<sup>٣٥</sup>.

جمع له بين النبوة والملك بعد أن كان راعيا وكان أصغر إخوته وكان يرعى غنما ، وكان له سبعة إخوة في أصحاب طالوت ، فلما حضرت الحرب قال في نفسه :لاذهبن إلى رؤية هذه الحرب ، فلما نهض في طريقه مر بحجر فناداه :يا داود خذنى فبى تقتل جالوت ، ثم ناداه حجر آخر ثم آخر فأخذه وجعلها في مخلاته وسار ، فخرج جالوت يطلب مبارزا فكع الناس عنه حتى قال طالوت : من يبرز إليه ويقتله فأنا أزوجه ابنتى وأحكمه في مالى ، فجاء داود عليه السلام فقال :أنا أبرز إليه وأقتله ، فازدراه طالوت حين رآه لصغر سنه وقصره فرده ، وكان داود أزرق قصيرا ، ثم نادى ثانية وثالثة فخرج داود ، وكان عند طالوت درع لا تستوى إلا على من يقتل جالوت ، فأخبره بها وألقاها عليه فاستوت ، فقال طالوت : فأركب فرسى وخذ سلاحى ففعل ، فلما مشى قليلا رجع فقال الناس : جبن الفتى ! فقال داود : إن الله إن لم يقتله لى ويعنى عليه لم ينفعني هذا الفرس ولا هذا السلاح ، ولكنى أحب أن أقاتله على عادتي<sup>٣٦</sup>.

وكان داود من أرمى الناس بالمقلاع ، فنزل وأخذ مخلاته فتقلدها وأخذ مقلاعه وخرج إلى جالوت ، ثم تدانیا وقصد جالوت أن يأخذ داود بيده استخفا به ، فأدخل داود يده إلى الحجارة ، فروى أنها التأمت فصارت حجرا واحدا ، فأخذه فوضعه في المقلاع وسمى الله وأداره ورماه فأصاب به رأس جالوت فقتله ، وحز رأسه وجعله في مخلاته ، وأختلط الناس وحمله أصحاب طالوت فكانت الهزيمة<sup>٣٧</sup>.

أما عن وقت إيتاء داود الملك والنبوة فظاهر قوله تعالى { وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ } يدل على أن داود حين قتل جالوت آتاه الله الملك والنبوة ، وذلك لأنه تعالى ذكر إيتاء الملك والنبوة عقيب ذكره لقتل داود جالوت ، وترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بكون ذلك الوصف علة لذلك

الحكم ، وبيان المناسبة أنه عليه السلام لما قتل مثل ذلك الخصم العظيم بالمقلاع والحجر ، كان ذلك معجزاً ، لا سيما وقد تعلقت الأحجار معه وقالت : خذنا فإنك تقتل جالوت بنا ، فظهور المعجز يدل على النبوة ، وأما الملك فلأن القوم لما شاهدوا منه قهر ذلك العدو العظيم المهيّب بذلك العمل القليل ، فلا شك أن النفوس تميل إليه وذلك يقتضي حصول الملك له ظاهراً.<sup>٧٧</sup>

قال الرازي ( : وقال الأكثرون : إن حصول الملك والنبوة له تأخر عن ذلك الوقت بسبع سنين على ما قاله الضحاك ، قالوا والروايات وردت بذلك ، قالوا : لأن الله تعالى كان قد عين طالوت للملك فيبعد أن يعزله عن الملك حال حياته ، والمشهور في أحوال بني إسرائيل كان نبي ذلك الزمان أشمويل ، وملك ذلك الزمان طالوت ، فلما توفي أشمويل أعطى الله تعالى النبوة لداود ، ولما مات طالوت أعطى الله تعالى الملك لداود ، فاجتمع الملك والنبوة فيه.<sup>٧٨</sup> )

## ثانياً: النبي سليمان عليه الصلاة والسلام

أكرم الله تعالى سليمان بالنبوة والملك بعد داود عليه السلام ، وقد شارك أباه في العديد من تدابير حكمه وكان يتمتع بهبات إلهية عالية.

وكما هو معلوم أن النبوة أعظم مراتب الملك لأن العلماء لهم أمر عظيم على بواطن الخلق والجبابرة لهم أمر على ظواهر الخلق والأنبياء أمرهم نافذ في البواطن والظواهر ، فأما على البواطن فلأنه يجب على كل أحد أن يقبل دينهم وشريعتهم ، وأن يعتقد أنه هو الحق ، وأما على الظواهر فلأنهم لو تمردوا واستكبروا لاستوجبوا القتل.<sup>٧٩</sup> والمتأمل لآيات القرآن الكريم يجدها درست نبوة وملك سليمان بتفصيل دقيق ومن ذلك وصف هذا الملك وانفراده بعظمته ، قال تعالى ( قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ \* فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ \* وَالشَّيَاطِينِ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ \* وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ \* هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ )<sup>٨٠</sup>

وقد تضمنت دعوته شيئين : هما أن يعطى ملكاً عظيماً ، وأن لا يعطى غيره مثله في عظمته . وقد حكي الله دعاء سليمان وهو سرّ بينه وبين ربه إشعاراً بأنه ألهمه إياه ، وأنه استجاب له دعوته تعريفاً برضاه عنه وبأنه جعل استجابته مكرمة توبته . ومعنى ذلك أنه لا يأتي ملك بعده له من السلطان جميع ما لسليمان فإن ملك سليمان عمّ التصرف في الجن وتسخير الريح والطير ، ومجموع ذلك لم يحصل لأحد من بعده.<sup>٨١</sup>

يقول ابن عاشور ( : وتأويل ذلك أنه قصد من سؤاله الإشفاق من أن يلي مثل ذلك الملك من ليس له من النبوة والحكمة والعصمة ما يضطلع به لأعباء ملك مثل ذلك الملك ومن ليس له من النفوذ على أمته ما لسليمان على

أتمته فلا يلبث أن يحسد على الملك فينجم في الأمة منازعون للملك على ملكه ، فينتفي أيضاً على هذا التأويل إيهام أنه سأل ذلك غيره على نفسه أن يعطى أحد غيره مثل ملكه (مما تشم منه رائحة الحسد).<sup>١٢)</sup>

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذه فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلُّكم فذكرت دعوة أخي سليمان » : رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي فردته خاسئاً.<sup>١٣)</sup>

ولم يترك القرآن صفة موته بل ذكرها بتفصيل معرّفٍ عظيم ، فقد توجه عليه السلام الى ربه بالدعاء فقال : اللهم عمّ عن الجنّ موتي حتى يعلم الإنس أن الجنّ لا يعلمون الغيب ، فهيأ عصا ، فتوكأ عليها ، وقبضه الله ، وهو متكىء عليها ، فمكث حولاً ميتاً ، والجنّ تعمل ، فأكلتها الأرضة ، فسقطت ، فعلموا عند ذلك بموته ، فتبينت الإنس { أن { الجنّ } لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين. }<sup>١٤)</sup>

### ثالثاً: يوسف عليه السلام الذي شارك في ملك مصر.

قال تعالى { : رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ }<sup>١٥)</sup> والمعنى : ملك مصر، والملك : اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير.<sup>١٦)</sup>

ولما أتم الله نعمته على يوسف عليه السلام بما أخلصه منه من المحن العظيمة ، وبما خوّله من الملك ، وعلمه من العلم ، تاقت نفسه إلى الخير الأخروي الدائم الذي لا ينقطع ، فقال { : رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ } و « للتبعيض ، أي : بعض الملك ، لأنه لم يؤت كل الملك ، إنما أوتي ملكاً خاصاً ، وهو ملك مصر في زمن خاص من قبل الملك آنذاك.<sup>١٧)</sup>

وتفسير الملك على ما سبق ذكره هو المشهور عند المفسرين وهو الأقرب لسياق النص القرآني ، وهناك أقوال أخرى في معناه منها<sup>١٨)</sup> :

أحدها : أراد تصديق الرؤيا التي رآها .

الثاني : أنه الرضا بالقضاء والقناعة بالعتاء .

الثالث : أن الملك هو احتياج حساده إليه ، قاله ابن عطاء .

## المبحث الثاني : ملوك الأرض الذين مدّهم القرآن

### أولاً : ذو القرنين.

## ثانياً: بلقيس ملكة سبأ

### ثالثاً: طالوت.

#### أولاً: ذو القرنين

قال تعالى { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٢٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا }<sup>١٩</sup> إن النص لا يذكر شيئاً عن شخصية ذي القرنين ولا عن زمانه أو مكانه . وهذه هي السمة المطردة في قصص القرآن . فالتسجيل التاريخي ليس هو المقصود . إنما المقصود هو العبرة المستفادة من القصة . والعبرة تتحقق بدون حاجة إلى تحديد الزمان والمكان في أغلب الأحيان<sup>٢٠</sup> .

هذا وقد اختلف العلماء فيه من هو وذكروا في ذلك أقوالاً :

الأول : أنه هو الاسكندر بن فيليبوس اليوناني قالوا والدليل عليه أن القرآن دل على أن الرجل المسمى بذو القرنين بلغ ملكه إلى أقصى المغرب بدليل قوله { : حتى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ }<sup>٢١</sup> وأيضاً بلغ ملكه أقصى المشرق بدليل قوله { : حتى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ }<sup>٢٢</sup> وأيضاً بلغ ملكه أقصى الشمال بدليل أن يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون في أقصى الشمال ، وبدليل أن السد المذكور في القرآن يقال في كتب التواريخ إنه مبني في أقصى الشمال فهذا الإنسان المسمى بذو القرنين في القرآن قد دل القرآن على أن ملكه بلغ أقصى المغرب والمشرق وهذا هو تمام القدر المعمور من الأرض ، ومثل هذا الملك البسيط لا شك أنه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب أن يبقى ذكره مخلداً على وجه الدهر وأن لا يبقى مخفياً مستتراً ، والملك الذي اشتهر في كتب التواريخ أنه بلغ ملكه إلى هذا الحد ليس إلا الإسكندر وذلك لأنه لما مات أبوه جمع ملوك الروم بعد أن كانوا طوائف ثم جمع ملوك المغرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر ثم عاد إلى مصر فبنى الإسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني إسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحة ثم انعطف إلى أرمينية وباب الأبواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر . ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرات إلى أن قتله صاحب حرسه فاستولى الإسكندر على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع إلى العراق ومرض بشهرزور ومات بها . فلما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين كان رجلاً ملك الأرض بالكلية ، أو ما يقرب منها ، وثبت بعلم التواريخ أن الذي هذا شأنه ما كان إلا الإسكندر وجب القطع بأن المراد بذو القرنين هو الإسكندر بن فيليبوس اليوناني على رأي من ذهب الى ذلك<sup>٢٣</sup> .

الثاني : أنه اسكندر بن فيلقوس اليوناني في عهد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، بعد نمرود ، عاش طويلاً . وأما ذو القرنين الثاني وهو اسكندر الرومي الذي يؤرخ بأيامه الروم فكان متأخراً عن الأول بدهر طويل أكثر من ألفي

سنة كان هذا قبل المسيح عليه الصلاة والسلام بنحو من ثلاثمائة سنة وكان وزيره أرسطا طاليس الفيلسوف ، وهو الذي حارب دارا وأذل ملوك الفرس ووطئ أرضهم وكان كافرا وعاش ستا وثلاثين سنة . فالمراد بذي القرنين هو الأول دون الثاني وقد غلط كثير من العلماء في الفرق بينهما فظنوا أن المذكور في الآية الرومي ، وهذا هو قول البروسوي رحمه الله<sup>(٢٤)</sup> .

الثالث : قال أبو الريحان الهروي المنجم في كتابه الذي سماه ب ( الآثار الباقية عن القرون الخالية ) ، قال : ( إن ذا القرنين هو أبو كرب شمر بن عبيد بن أفريقش الحميري فإنه بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها ، ثم قال أبو الريحان ويشبه أن يكون هذا القول أقرب لأن الأذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلو أساميهم من ذي كذا كذي النادي وذي نواس وذي النون وغير ذلك ) .<sup>(٢٥)</sup>

الرابع : أنه كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة ، وإن كنا لا نعرف أنه من هو .<sup>(٢٦)</sup>

الخامس : أن ذا القرنين ملك من الملائكة عن عمر أنه سمع رجلاً يقول : يا ذا القرنين فقال : اللهم اغفر . أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء حتى تسموا بأسماء الملائكة<sup>(٢٧)</sup> .

السادس : حكى بن عباس أن ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك بن معد<sup>(٢٨)</sup> .  
السابع : حكى محمد بن إسحاق أنه رجل من إهل مصر اسمه مرزبان بن مردبة اليوناني ولد يونان بن يافث بن نوح<sup>(٢٩)</sup> .

الثامن : قال معاذ بن جبل : كان رومياً اسمه الاسكندروس<sup>(٣٠)</sup> .  
وبالنظر في هذه الأقوال نجد أن التاريخ المدون يعرف ملكاً اسمه الاسكندر ذو القرنين . ومن المقطوع به أنه ليس ذا القرنين المذكور في القرآن . فالإسكندر الإغريقي كان وثنياً . وهذا الذي يتحدث عنه القرآن مؤمن بالله وحده معتقد بالبعث والآخرة<sup>(٣١)</sup> .

يقول الرازي : ( والقول الأول أظهر ... وهو أن مثل هذا الملك العظيم يجب أن يكون معلوم الحال عند أهل الدنيا والذي هو معلوم الحال بهذا الملك العظيم هو الإسكندر فوجب أن يكون المراد بذي القرنين هو هو إلا أن فيه إشكالاً قوياً وهو أنه كان تلميذ أرسطا طاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطا طاليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل إليه )<sup>(٣٢)</sup> .

ومما سبق نجد أن القول الثاني هو الراجح وهو ماذهب اليه البروسوي رحمه الله من أنه الاسكندر اليوناني الذي عاش في عهد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام .  
هذا وقد ذكر العلماء في تسميته بذي القرنين وجوهاً<sup>(٣٣)</sup> :

الأول : سأل ابن الكواء علياً رضي الله عنه عن ذي القرنين وقال أملك هو أم نبي فقال : لا ملك ولا نبي كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله ف ضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي بذي القرنين وملك ملكه .

الثاني : أنه لقب بهذا اللقب لأجل بلوغه قرني الشمس أي مطلعها ومغربها كما لقب أردشير بن بهمن بطويل اليديين لنفوذ أمره حيث أراد .

الثالث : سمي بذي القرنين لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس .

الرابع : كان صفحتا رأسه من نحاس .

الخامس : كان على رأسه ما يشبه القرنين .

السادس ( : كان (لتاجه قرنان .

السابع : سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني شرقها وغربها .

الثامن : كان له قرنان أي صغيرتان .

التاسع : أن الله تعالى سخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتمده الظلمة من ورائه .

العاشر : يجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشاً لأنه ينطح أقرانه .

الحادي عشر : رأى في المنام كأنه صعد الفلك فتعلق بطرفي الشمس وقرنيها وجانبيها فسمي لهذا السبب بذي القرنين .

وهل هو نبي أم لا؟

ذهب قوم إلى أنه نبي مبعوث فتح الله على يده الأرض<sup>٣٤</sup> .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن نبياً ولا مَلَكاً ، ولكنه كان عبداً صالحاً أحب الله وأحبه الله ، وناصح لله فناصره الله ، وضربوه على قرنه فمكث ما شاء الله ثم دعاهم إلى الهدى فضرَبوه على قرنه الآخر ، ولم يكن له قرنان كقرني الثور<sup>٣٥</sup> .

والرأي الثاني هو الراجح لعدم ثبوت الأول.

وجملة القول فيما سبق أنه سأل سائلون عن ذي القرنين . سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فأوحى إليه الله بما هو وارد هنا من سيرته . وليس أمامنا مصدر آخر غير القرآن في هذه السيرة . فنحن لا نملك التوسع فيها بغير علم . وقد وردت في التفاسير أقوال كثيرة ، ولكنها لا تعتمد على يقين . وينبغي أن تؤخذ بحذر ، لما فيها من إسرائيليّات وأساطير<sup>٣٦</sup> .



## ثانيا :بلقيس ملكة سبأ

قال تعالى { :إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ }<sup>٣٧</sup> (فهذه امرأة ذكرها

القرآن وذكر رجاحة عقلها واسلامها بعد كفر وضلال .

هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية كما ذكر زهير بن محمد).<sup>٣٨</sup> )

وقال ابن جرير ( :بلقيس بنت ذي شرخ ، وأمها يلتقة).<sup>٣٩</sup> )

قال قتادة :كانت من بيت مملكة ، وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثنى عشر رجلا كل رجل منهم على

عشرة آلاف رجل .وكانت بأرض يقال لها مأرب ، على ثلاثة أميال من صنعاء).<sup>٤٠</sup> )

وعن عظم عرشها قال علماء التاريخ :كان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم ، كان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه ، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة ، وتغرب من مقابلتها ، فيسجدون لها صباحا ومساء ، ولهذا قال { :وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ }.<sup>٤١</sup> )

وقال تعالى ( : قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ \* إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ \* أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ \* قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ

\* قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ \* قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا

وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا أُذْلًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ \* وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ) .<sup>٤٢</sup> )

والتأمل لمشاورة بلقيس لقومها وعدولها عن القتال ببصر ظهور شخصية «المرأة» من وراء شخصية الملكة .

المرأة التي تكره الحروب والتدمير ، والتي تنضي سلاح الحيلة والملاينة قبل أن تنضي سلاح القوة والمخاشنة).<sup>٤٣</sup> )

قال قتادة :يرحمها الله إن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها ، قد علمت أن الهدية تقع موقعها من

الناس).<sup>٤٤</sup> )

ومن قولها للرسول الذي بعثته بالهدية : انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظر

غضب فاعلم أنه ملك ولا يهولنك منظره ، فإننا أعز منه ، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم

قوله ، ورد الجواب).<sup>٤٥</sup> )

والهدية تلين القلب ، وتعلن الود ، وقد تفلح في دفع القتال . وهي تجربة . فإن قبلها سليمان فهو إذن أمر الدنيا ، ووسائل الدنيا إذن تجدي . وإن لم يقبلها فهو إذن أمر العقيدة ، الذي لا يصرفه عنه مال ، ولا عرض من أعراض هذه الأرض<sup>٤٦</sup> .

وقال سبحانه وتعالى (قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ \* فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ \* وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ \* قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>٤٧</sup>)

واختلفوا في أن سليمان عليه الصلاة والسلام تزوجها أم لا ؟

يقول الرازي ( : والأظهر في كلام الناس أنه تزوجها ، وليس لذلك ذكر في الكتاب ، ولا في خبر مقطوع بصحته ، ويروى عن ابن عباس أنها لما أسلمت قال لها اختاري من قومك من أزواجك منه فقالت مثلي لا ينكح الرجال مع سلطاني ، فقال النكاح من الإسلام ، فقالت إن كان كذلك فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها إياه ثم ردهما إلى اليمن ، ولم يزل بها ملكاً<sup>٤٨</sup> ) .

### ثالثا : طالوت .

قال تعالى { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ<sup>٤٩</sup> } .

ذكر المفسرون الكثير في خبر طالوت وتولية الملك وأكثره مما نقل عن أهل عن الكتاب ونحن نأخذ ما لم يخالف شيئا من شريعتنا كما هو معلوم .

ومجمل قصته كما أخرج ابن إسحق وابن جرير عن وهب بن منبه : أنه لما دعا تعالى قال له : أنظر القرن الذي فيه الدهن في بيتك فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي فيه فهو ملك بني إسرائيل فأدهن رأسه منه وملكه عليهم فأقام ينتظر متى يدخل ذلك الرجل عليه وكان طالوت رجلاً دباغاً يعمل الأدم ، وقيل : كان سقاءً وكان من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام ولم يكن فيهم نبوة ولا ملك فخرج طالوت في ابتغاء دابة له ضلت ومعه غلام

فمرا ببيت النبي فقال غلام طالوت له : لو دخلت بنا على هذا النبي فسألناه عن أمر دابتنا فيرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال طالوت : ما بما قلت من بأس فدخلنا عليه فبينما هو عنده يذكر له شأن دابته ويسأله أن يدعو له إذ نش الدهن الذي في القرن فقام إليه النبي فأخذه ثم قالت لطالوت : قرب رأسك فقربه فدهنه منه ثم قال : أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملك عليهم فجلس عنده وقال الناس : ملك طالوت فأنت عظماء بني إسرائيل نبيهم مستغربين ذلك حيث لم يكن من بيت النبوة ولا الملك.<sup>٥٠</sup>

ويستمر النص القرآني في تفصيل جدال بني إسرائيل في اختيار طالوت للملك {قَالُوا أُنَى يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَحَنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ} أي كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال ، أو لعدم ما يجبر نقصه لو كان ويلحقه بالأشراف عرفاً من ذلك ، {قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} رد عليهم بأبلغ وجه وأكمله كأنه قيل : لا تستبعدوا تملكه عليكم لفقره وانحطاط نسبه عنكم ، أما أولاً : فلأن ملاك الأمر هو اصطفاؤه الله تعالى وقد اصطفاه واختاره وهو سبحانه أعلم بالمصالح منكم .

وأما ثانياً : فلأن العمدية وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية ، وجسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب وأقوى على كفاح الأعداء ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد خصه الله تعالى بحظ وافر منهما. وأما ثالثاً : فلأنه تعالى مالك الملك على الإطلاق وللمالك أن يمكن من شاء من التصرف في ملكه بإذنه. وأما رابعاً : فلأنه سبحانه واسع الفضل يوسع على الفقير فيغنيه عليم بما يليق بالملك من النسيب وغيره ، وفي تقديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم إيماء إلى أن الفضائل النفسانية أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانية بل يكاد لا يكون بينهما نسبة لا سيما ضخامة الجسم ولهذا حمل بعضهم البسطة فيه هنا على الجمال أو القوة لا على المقدار كطول القامة.<sup>٥١</sup>

ولعل ذكر ذلك على ذلك التقدير لأنه صفة تزيد الملك المطلوب لقتال العمالقة حسناً لأنهم كانوا ضخاماً ذوي بسطة في الأجسام وكان ظل ملكهم جالوت ميلاً على ما في بعض الأخبار لا أنها من الأمور التي هي عمدة في الملوك من حيث هم كما لا يخفى على من تحقق أن المرء بأصغريه لا بكر جسمه وطول برديه.<sup>٥٢</sup>

قال ابن عباس : كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله وأتمه ، وزيادة الجسم مما يهيب العدو.<sup>٥٣</sup>

وفي اختيار (واسع وعليم) (في الأخبار عنه تعالى هنا حسن المناسبة لبسطة الجسم وكثرة العلم ما تهتث له الخواطر لا سيما على ما يتبادر من بسطة الجسم ، وقدم الوصف الأول مع أن ما يناسبه ظاهراً مؤخراً لأن له مناسبة

معنى لأول الأخبار إذ الاصطفاء من سعة الفضل أيضاً ، ولأنّ عليم أوفق بالفواصل وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة<sup>٥٤</sup> . )

أما عن التابوت وما فيه من السكينة وغيرها ذكر المفسرون الكثير من الأقوال أجملها ابن عطية بقوله ( :  
والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الانبياء وآثارهم ، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى<sup>٥٥</sup> )

### **المبحث الثالث :**

## **ملوك الأرض الذين ذمهم القرآن**

### **أولاً: فرعون مصر**

## ثانيا :النمرود

### ثالثا :الملك الظالم في قصة موسى والعبد الصالح .

#### أولاً:فرعون مصر

قال تعالى ( :نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُفَصِّلُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَآ كَانُوا يَحْذَرُونَ )<sup>٥٦</sup>.

وفرعون هو علم شخص ثم صار لقباً لكل من ملك مصر من العمالقة ، كما أن كسرى لقب من ملك فارس ، وقيصر لقب من ملك الروم ، والنجاشي لقب من ملك الحبشة ، وتبع لقب من ملك اليمن<sup>٥٧</sup> .

وفرعون هذا هو (رعمسيس الثاني وهو الملك الثالث من ملوك العائلة التاسعة عشرة في اصطلاح المؤرخين للفراعنة ، وكان فاتحاً كبيراً شديد السطوة وهو الذي ولد موسى عليه السلام في زمانه على التحقيق)<sup>٥٨</sup> .

و {الأرض : {هي أرض مصر ، فالتعريف فيها للعهد لأن ذكر فرعون يجعلها معهودة عند السامع لأن فرعون اسم ملك مصر . ويجوز أن تجعل المراد بالأرض جميع الأرض يعني المشهور المعروف منها ، بإطلاق الأرض كإطلاق الاستغراق العرفي فقد كان ملك فرعون (رعمسيس الثاني ممتداً من بلاد الهند من حدود نهر (الك نك (في الهند إلى نهر (الطنونة (في أوروبا ، فالمعنى أرض مملكته ، وكان علوه أقوى من علو ملوك الأرض وسادة الأقوام)<sup>٥٩</sup> . أما عن قوله تعالى (وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ..) فإن ابن عاشور يذهب إلى أن هذا الفرعون هو ليس (رعمسيس الثاني (وإنما هو منفتاح الثالث فيقول ) :وفرعون الذي أري ذلك هو ملك مصر (منفتاح (الثالث وهو الذي حكم مصر بعد (رعمسيس الثاني الذي كانت ولادة موسى في زمانه وهو الذي كان يحذر ظهور رجل من إسرائيل يكون له شأن . و {هامان {قال المفسرون : هو وزير فرعون . وظاهر آيات هذه السورة يقتضي أنه وزير فرعون وأحسب أن هامان ليس باسم علم ولكنه لقب خطة مثل فرعون وكسرى وقيصر ونجاشي . فالظاهر أن هامان لقب وزير الملك

في مصر في ذلك العصر . وجاء في كتاب «أستير» من كتب اليهود الملحقه بالتوراة تسمية وزير (أحشويروش (ملك الفرس (هامان (فظنوه علماً فزعموا أنه لم يكن لفرعون وزير اسمه هامان واتخذوا هذا الظن مطعناً في هذه الآية . وهذا اشتباه منهم فإن الأعلام لا تنحصر وكذلك ألقاب الولايات قد تشترك بين أمم وخاصة الأمم المتجاورة ، فيجوز أن يكون {هامان {علماً من الأمان فإن الأعلام تتكرر في الأمم والعصور ، ويجوز أن يكون لقب خطة في مصر فنقل اليهود هذا اللقب إلى بلاد الفرس في مدة أسرهم ( (٦٠).

وقال سبحانه على لسان فرعون مبينا غروره وتجبره على الناس { وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (٦١) يعني الأنهار التي فصلوها من النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس ، قيل كانت تجري تحت قصره ، وحاصل الأمر أنه احتج بكثرة أمواله وقوة جاهه على فضيلة نفسه<sup>٦٢</sup> .

وعن الرشيد : أنه لما قرأها قال : لأولينها أخس عبيدي ، فولأها الخصيب ، وكان على وضوئه . وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها ، فخرج إليها فلما شارفها وقع عليها بصره قال : أهى القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال : أليس لي ملك مصر ، والله لهي أقل عندي من أن أدخلها ، فثنى عنانه<sup>٦٣</sup> .

## ثانيا : النمرود

هو نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ، وقيل : إنه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وقيل فيه أقوال أخرى<sup>٦٤</sup> .

وعن قتادة : وهو أول ملك تجبر في الأرض ، وهو صاحب الصرح ببابل<sup>٦٥</sup> . وفي كتب التاريخ : ان اسم النمرود سمة لكل من ملك بابل لوقوعه في أهل انساب مختلفة مرة إلى سام ومرة إلى حام<sup>٦٦</sup> .

وكان أحد ملوك الدنيا فإنه قد ملك الدنيا فيما ذكر مجاهد أربعة : مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان ، والكافران النمرود وبختنصر ، وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمئة سنة وكان قد طغا وبغا وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا<sup>٦٧</sup> .

ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع فحاج إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية<sup>٦٨</sup> .

وقد قص القرآن تلك المحاجة في قوله تعالى ( : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ )<sup>٦٩</sup> : وفي النص القرآني نجد أن إيتاء الملك أبطر النمرود ، وأورثه الكبر ، والعتو ، فحاج لذلك ، أو على أنه وضع المحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر ، كما يقال : عاديتني ؛ لأنني أحسنت إليك ، أو وقت أن آتاه الله الملك<sup>٧٠</sup> .

وقد أراد إبراهيم عليه السلام : أن الله هو : الذي يخلق الحياة ، والموت في الأجساد ، وأراد الكافر : أنه يقدر أن يعفو عن القتل ، فيكون ذلك إحياء ، وعلى أن يقتل ، فيكون ذلك إماتة ، فكان هذا جواباً أحق لا يصح

نصبه في مقابلة حجة إبراهيم؛ لأنه أراد غير ما أراده الكفار ، فلو قال له : ربه الذي يخلق الحياة ، والموت في الأجساد ، فهل تقدر على ذلك؟ لبهت الذي كفر باديء بدء ، وفي أول ، وهلة ، ولكنه انتقل معه إلى حجة أخرى تنفيهاً لخنائهم ، وإرسالاً لعنان المناظرة فقال { : إبراهيم فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ } لكون هذه الحجة لا تجري فيها المغالطة ، ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمخارج مكابرة ، ومشاغبة<sup>(٧١)</sup> .

### ثالثاً :الملك الظالم في قصة موسى والعبد الصالح .

قال تعالى (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ **مَلِكٌ** يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا )<sup>(٧٢)</sup>

هو هدد بن بدد بن الخلجان بن عاد بن رقيم ابن عابر بن عاد الاكبر كما ذكره ابن خلدون ونسبه للبخاري في تاريخه<sup>(٧٣)</sup> .

وقال مقاتل : كان اسمه مندلة بن جلندی بن سعد الأزدي<sup>(٧٤)</sup> .

وقال السهيلي : هو الجلندي<sup>(٧٥)</sup> ، وذكر بعضهم أسماء أخرى.

وقد ذكروا في تعيين هذا الملك وسبب أخذه للسفن قصصاً وأقوالاً لم يثبت شيء منها بعينه ، ولا يتعلق به غرض في مقام العبرة .

أما عن المدينة فهي كما ذكر ابن خلدون بساحل برقة ، ولم يزل ملكهم متصلاً إلى أن غلبهم عليه يعرب بن قحطان واعتصموا بجبال حضر موت إلى أن انقرضوا<sup>(٧٦)</sup> .

وهكذا كان الملك يأخذ كل سفينة جيدة غصباً ، فلذلك عابها الخضر لتسلم من الملك .

### المبحث الرابع

#### الملوك الذين سكت عنهم القرآن

#### أولاً : ملك مصر في قصة يوسف عليه السلام

#### ثانياً : تبع اليماني

#### أولاً : ملك مصر في قصة يوسف عليه السلام

هو الريان بن الوليد بن الهروان بن اراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح على أشهر الأقوال<sup>(٧٧)</sup> .

وقيل الوليد بن الريان<sup>٧٨</sup>، وقيل عنه أنه (أخنا تون (أو (أمحوتب الرابع (كما في بعض الدراسات الحديثة ، وليس هناك من توثيق يقيني في هذا الجانب.

ولم يفصح القرآن عن عقيدة هذا الملك وإيمانه بيوسف أو عدمه ، إلا ان المفسرين والمؤرخين ذهبوا الى كلا الرأيين .

فقد نقل ابن كثير في البداية والنهاية عن محمد بن اسحق ( : أن صاحب مصر تم الوليد بن الريان تم أسلم على يدي يوسف عليه السلام فالله أعلم ( <sup>٧٩</sup>).

وقال ابن الاثير ( : ولما ولي يوسف عمل مصر دعا الملك الريان إلى الإيمان ، فأمن ، ثم توفي ( <sup>٨٠</sup>).

قال تعالى { : وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ } ( <sup>٨١</sup>).

لما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته ، فرأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس ، وسبع بقرات عجاف ، فابتلعت العجاف السمان . ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها ، وسبعاً أخر يابسات قد استحصدت وأدركت ، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها ، فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها ، فجمع السحرة والكهنة والحازة والعافة فقصّها عليهم ، فقالوا ( : أضغات أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ( <sup>٨٢</sup>) ، فإن البقرة السمان السنون المخاصيب ، والبقرات العجاف السنون المحول ، وكذلك السنبلات الخضر واليابسات <sup>٨٣</sup>.

لقد كان يدور في خلدي وتفكيري أن سبب اختيار القرآن لفظ (الملك (لهذا الرجل دون (الفرعون (رغم أنه أحد فراعنة مصر بل من أهمهم أن السبب هو لكونه آمن بيوسف عليه الصلاة والسلام فلا يصح وصفه بالفرعون الذي يعتبر من الاوصاف الذميمة وقد يكون الأمر كذلك والله أعلم إلا أن ابن عاشور رحمه الله أورد سببا آخر بقوله ( : وسماه القرآن هنا ملكاً ولم يسمه فرعونَ لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط ، وإنما كان ملكاً لمصر أيامَ حَكَمَها (الهكسوس (، وهم العمالقة ، وهم الكنعانيون ، أو من العرب ، ويعبر عنهم مؤرخو الإغريق بملوك الرعاة ، أي البدو . وقد ملوكوا بمصر من عام ٢٢٠٠ إلى عام ١٢٢٢ قبل ميلاد المسيح عليه السلام . وكان عصرهم فيما بين مدة العائلة الثالثة عشرة والعائلة الثامنة عشرة من ملوك القبط ، إذ كانت عائلات ملوك القبط قد بقي لها حكم في مصر العليا في مدينة (طيبة (، وكان ملكهم في تلك المدة ضعيفاً لأن السيادة كانت لملوك مصر السفلى . ويقدر المؤرخون أن ملك مصر السفلى في زمن يوسف عليه السلام كان في مدة العائلة السابعة عشرة.



فالتعبير عنه بالملك في القرآن دون التعبير بفرعون مع أنه عبر عن ملك مصر في زمن موسى عليه السلام بلقب فرعون هو من دقائق إعجاز القرآن العلمي . وقد وقع في التوراة إذ عبر فيها عن ملك مصر في زمن يوسف عليه السلام فرعون وما هو بفرعون لأن أمتة ما كانت تتكلم بالقبطية وإنما كانت لغتهم كنعانية قريبة من الآرامية والعربية ، فيكون زمن يوسف عليه السلام في آخر أزمان حكم ملوك الرعاة على اختلاف شديد في ذلك<sup>(٨٤)</sup>.

## ثانيا :تبع اليماني

قال تعالى ( : أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ) (٨٥)

وقال سبحانه ( : وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلُّ كَذَّابٍ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ) (٨٦)

هو تبع الحميري واسمه أسعد تبان أبو كرب بن ملكي كرب بن قيس بن زيد بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ على أشهر وأصح الأقوال<sup>(٨٧)</sup> .  
وليس المراد بتبع رجلا واحدا بل المراد به ملوك اليمن ، فكانوا يسمون ملوكهم التبابعة .  
فتبع لقب للملك منهم كالخليفة للمسلمين ، وكسرى للفرس ، وقيصر للروم<sup>(٨٨)</sup> .  
وقال أبو عبيدة : سمي كل واحد منهم تبعا لانه يتبع صاحبه<sup>(٨٩)</sup> .  
قال الجوهري : والتبابعة ملوك اليمن ، واحدهم تبع<sup>(٩٠)</sup> .  
وقال السهيلي : تبع اسم لكل ملك ملك اليمن والشحر وحضرموت ، وإن ملك اليمن وحدها لم يقل له تبع<sup>(٩١)</sup> .

فمن التبابعة : الحارث الرائش ، هو ابن همال ذي سدد، وأبرهة ذو المنار، وعمرو ذو الأذعار ، وشمر بن مالك ، الذي تنسب إليه سمرقند، وأفريقيس بن قيس ، الذي ساق البربر إلى أفريقية من أرض كنعان ، وبه سميت إفريقية<sup>(٩٢)</sup> .

والظاهر من الآيات أن الله سبحانه إنما اراد واحدا من هؤلاء ، وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم أشد من معرفة غيره.

وتبع المراد هنا المسمى أسعد والمكنى أبا كرب ، كان قد عظم سلطانه وغزا بلاد العرب ودخل مكة ويثرب وبلغ العراق . ويقال : إنه الذي بنى مدينة الحيرة في العراق ، وكانت دولة تبع في سنة ألف قبل البعثة المحمدية ، وقيل كان في حدود السبعمئة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الإهلاك بقوم تبع دونه يقتضي أن تبعاً نجا من هذا الإهلاك وأن الإهلاك سلط على قومه<sup>(٩٣)</sup> .

والمروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في مسند أحمد وغيره أنه قال « لا تسبوا تُبعاً فإنه كان قد أسلم وفي رواية كان مؤمناً »<sup>٩٤</sup> وفسره بعض العلماء بأنه كان على دين إبراهيم عليه السلام وأنه اهتدى إلى ذلك بصحبة حبرين من أحبار اليهود لقيهما بيثرب حين غزاها وذلك يقتضي نجاته من الإهلاك . ولعل الله أهلك قومه بعد موته أو في مغيبه<sup>٩٥</sup> .

وعن سعيد بن جبير : هو أول من كسا البيت<sup>٩٦</sup> .

وكان كعب يقول ( :نُعِتَ نَعَتَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ذَمَّ الله قَوْمَهُ ولم يذمه .(وكانت عائشة رضي الله عنها تقول ( :لا تسبوا تُبعاً ، فإنه كان رجلاً صالحاً )<sup>٩٧</sup> .

وقال ابن عباس : وكان قد بلغ به الجوع ، وأخضر لونه من أكل البقل في بطنه ، وإنه لأكرم الخلق على الله<sup>٩٨</sup> .

## الخاتمة

مما تقدم يتبين لنا :

- ١ - أن الملك من أمر الله تعالى يؤتیه من يشاء وينزعه ممن يشاء وله في كل ذلك حكم وأسرار .
- ٢ - الأصل في القرآن الكريم أنه كتاب هداية وليس كتاب تأريخ أو علم فيزياء أو غيره ، ولكنه تضمن حقائق علمية وتاريخية لا يمكن الطعن بها أو التشكيك بصدق وقوعها كونه ثبت نقله وتعهد حفظه من

قبل الخالق سبحانه وتعالى ولم يثبت في يوم من الأيام أو موقف من المواقف مخالفته أو معارضته بل تكشف الأيام يوما بعد آخر للمعاندين صدق أخباره ودقة إعجازه.

٣ - ذكر القرآن الكريم العديد من ملوك الأرض الصالحين وغير الصالحين عبرة لمن يتقلد زمام الملك وعظة لمن يأتي بعدهم.

٤ - اختص الله تعالى بعض خلقه بأن جمع لهم بين النبوة والملك ك ( داود عليه الصلاة والسلام ، وسليمان عليه الصلاة والسلام ) والنبوة وبعض الملك ك ( يوسف عليه الصلاة والسلام ).

٥ - ذكر القرآن الكريم بعض الملوك من غير تعريف بهم وإنما أطلق ذكرهم دون تخصيص مكتفيا باللقب مرة وبالصفة مرة أخرى ، كون الحكمة من ذكرهم هي الاعتبار بحالهم فليس الغرض سرد حياتهم ، ومن هذا فقد اختلف المفسرون والعلماء بشأنهم وليس هناك من جزم بتعريفهم ، والراجح ما يترجح بالأدلة النقلية والعقلية.

ختاما نسأله تعالى التوفيق والسداد إنه سميع مجيب الدعاء وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## المصادر والمراجع

\* بعد القرآن الكريم

١- البحر المحيط - ابو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي - ط ١ -

مطبعة السعادة - مصر - ١٣٢٨ هـ.

- ٢ - البداية و النهاية - لعماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي - مطبعة السعادة - مصر (د.ت).
- ٣ - التحرير والتنوير - محمد الطاهر ابن عاشور - التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر (د.ت).
- ٤- تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل) - الحسين بن مسعود البغوي - تحقيق خالد العك، مروان سوار - ط٢ - دار المعرفة - - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٥ - تفسير القرآن العظيم - ابو الفداء اسماعيل بن عمر ابن كثير - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١ هـ - وكذلك طبعة المطبعة التوفيقية - القاهرة - مصر - (د.ت).
- ٦ - التفسير الكبير و مفاتيح الغيب - فخر الدين محمد ابن ضياء الدين الرازي - ط٣ - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٧- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الاقاويل - جار الله محمود بن عمر الزمخشري - دار المعرفة للطباعة و النشر - بيروت - لبنان - (د.ت).
- ٨ - الجامع لاحكام القرآن - محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي - تحقيق احمد عبد العليم البردوني - ط٢ - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ هـ.
- ٩ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ) - محمد بن جرير الطبري - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ.
- ١٠ - روح البيان - اسماعيل حقي البروسوي - مطبعة عثمانجة (د.ت).
- ١١ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- ابو الفضل الالوسي - دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان - (د.ت).
- ١٢ - صحيح البخاري - محمد بن اسماعيل البخاري - تحقيق د.مصطفى اديب - ط٣ - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٣ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير - محمد أبن علي الشوكاني - دار الفكر - بيروت - لبنان - (د.ت).

- ١٤ - في ظلال القرآن - سيد قطب - ط٣٤ - دار الشروق - بيروت - لبنان - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ ،  
وكذلك ط٧ - دار الشروق ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ١٥ .الكامل في التاريخ - لابن الاثير الجزري - علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم  
الملقب ب(عز الدين) ادارة المطبعة المنيرية - ١٣٥٣ هـ .
- ١٦ - مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني - مؤسسة قرطبة - القاهرة - (د.ت).  
١٧ - مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون - ط٤ - دار احياء التراث العربي -  
بيروت - لبنان - ١٩٧٩ م .
- ١٨ - النكت والعيون - الماوردي - ( د . ت ) .

#### ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي الأمين ، وآله وصحبه أجمعين وبعد....  
فإن إيتاء الملك ونزعه من أمر الله تعالى ( قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) وقد ذكر القرآن الكريم بعض الملوك على اختلاف أوصافهم لحكم  
متعددة ، ولاشك أن في ذكره لهم أدق وأعظم توثيق تاريخي لايمكن أن يناله تحريف ، أو يعتريه خطأ.  
وقد اهتم العلماء بدراسة الملوك لما لهم من أثر كبير في صلاح وفساد الامم ، فعن مجاهد أنه قال (ملك  
الدنيا أربعة : مؤمنان وكافران أما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر ).  
ومن هذا فقد جاءت الدراسة على أربعة مباحث هي : المبحث الأول : ملوك الأرض من الأنبياء ، وهم (داود عليه  
السلام ، وسليمان عليه السلام ، ويوسف عليه السلام الذي شارك في ملك مصر ) .  
المبحث الثاني : ملوك الأرض الذين مدحهم القرآن ، وهم ( ذو القرنين ، وبلقيس ملكة سبأ ، وطالوت ).  
المبحث الثالث : ملوك الأرض الذين ذمهم القرآن ، وهم ( فرعون مصر ، والنمرود ، والملك الظالم في قصة موسى والعبد  
الصالح ).  
المبحث الرابع : الملوك الذين سكت عنهم القرآن ، وهم ( ملك مصر في قصة يوسف عليه السلام ، وتبع اليماني ).  
ومن نتائج البحث :

- أن الأصل في القرآن الكريم أنه كتاب هداية وليس كتاب تأريخ أو علم فيزياء أو غيره ، ولكنه تضمن حقائق علمية  
وتأريخية لايمكن الطعن بها أو التشكيك بصدق وقوعها كونه ثبت نقله وتعهده حفظه من قبل الخالق سبحانه وتعالى ولم  
يثبت في يوم من الأيام أو موقف من المواقف مخالفته أو معارضته بل تكشف الأيام يوما بعد آخر للمعاندین صدق أخباره  
ودقة إعجازه.

- ذكر القرآن الكريم العديد من ملوك الأرض الصالحين وغير الصالحين عبرة لمن يتقلد زمام الملك وعظة لمن يأتي بعدهم.

الهوامش

(١) سورة آل عمران : ٢٦.

(٢) ينظر في ظلال القرآن ٧٧/٥.

(٣) سورة البقرة : ٢٥١.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ٢٥٧/٣.

(٥) ينظر المصدر نفسه ٢٥٧ / ٣ - ٢٥٨.

(٦) ينظر المصدر نفسه ٢٥٧ / ٣ - ٢٥٨.

(٧) ينظر تفسير الرازي ٤٢١/٣.

(٨) المصدر نفسه ٤٢١/٣.

(٩) ينظر المصدر نفسه ١٦١/٤.

(١٠) سورة ص : ٣٥ - ٤٠ .

(١١) ينظر التحرير والتنوير ١٢٩/١٢.

(١٢) المصدر نفسه ١٢٩/١٢.

(١٣) صحيح البخاري ٨ / ٥٢٥ ، باب الطيب للجمعة.

(١٤) ينظر التحرير والتنوير ١٢٩/١٢ ، والآية من سورة سبأ : ١٤.

(١٥) سورة يوسف : ١٠١ .

(١٦) ينظر تفسير البغوي ٢٨١/٤.

(١٧) ينظر فتح القدير ٧٥/٤.

(١٨) ينظر النكت والعيون ٢٨٨/٢.

(١٩) سورة الكهف : ٨٣ - ٨٤.

- (٢٠) ينظر في ظلال القرآن ٧٧/٥.
- (٢١) سورة : الكهف : ٨٦ .
- (٢٢) سورة : الكهف : ٩٠ .
- (٢٣) ينظر تفسير الرازي ٢٤٤/١٠.
- (٢٤) ينظر تفسير روح البيان ٢٢٣/٥.
- (٢٥) تفسير الرازي ٢٤٥ / ١٠.
- (٢٦) ينظر المصدر نفسه ٢٤٥ / ١٠.
- (٢٧) ينظر المصدر نفسه ٢٤٥ / ١٠.
- (٢٨) ينظر في ظلال القرآن ٧٧/٥.
- (٢٩) ينظر النكت والعيون ٤٩٧/٢.
- (٣٠) ينظر المصدر نفسه ٤٩٧/٢.
- (٣١) في ظلال القرآن ٧٧/٥.
- (٣٢) تفسير الرازي ٢٤٥/١٠.
- (٣٣) المصدر نفسه بتصرف ٢٤٥ / ١٠.
- (٣٤) ينظر النكت والعيون ٤٩٧/٢.
- (٣٥) المصدر نفسه ٤٩٧/٢.
- (٣٦) في ظلال القرآن ٧٧/٥.
- (٣٧) سورة النمل : ٢٣ .
- (٣٨) تفسير ابن كثير ١٨٦/٦.
- (٣٩) المصدر نفسه ١٨٦/٦.
- (٤٠) المصدر نفسه ١٨٦/٦.
- (٤١) ينظر المصدر نفسه ١٨٦/٦.
- (٤٢) سورة النمل : ٢٩ - ٣٥ .
- (٤٣) ينظر في ظلال القرآن ٣٨٢/٥.
- (٤٤) النكت والعيون ١٤٥/٣.

- (٤٥) ينظر تفسير البغوي ١٦١/٦ .
- (٤٦) ينظر في ظلال القرآن ٣٨٢/٥ .
- (٤٧) سورة النمل : ٤١ - ٤٤ .
- (٤٨) تفسير الرازي ٣٥/١٢ .
- (٤٩) سورة البقرة : ٤٧ - ٤٨ .
- (٥٠) ينظر تفسير الآلوسي ٢٩٠/٢ .
- (٥١) ينظر المصدر نفسه ٢٩١-٢٩٠/٢ .
- (٥٢) ينظر المصدر نفسه ٢٩١/٢ .
- (٥٣) تفسير القرطبي ٢٤٦/٣ .
- (٥٤) ينظر تفسير الآلوسي ٢٩١/٢ .
- (٥٥) تفسير القرطبي ٢٤٩/٣ .
- (٥٦) سورة القصص ٣ - ٦ .
- (٥٧) ينظر تفسير الآلوسي ٢٨٧/٦ .
- (٥٨) ينظر التحرير والتنوير ٣٤٨/١٠ .
- (٥٩) ينظر المصدر نفسه ٣٤٨/١٠ .
- (٦٠) المصدر نفسه ٣٥٢/١٠ .
- (٦١) سورة الزخرف : ٥١ .
- (٦٢) ينظر تفسير الرازي ٤٨١/١٣ .
- (٦٣) ينظر تفسير الكشاف ٢٣٩/٦ .
- (٦٤) ينظر تفسير الطبري ٤٣٠/٥ .
- (٦٥) ينظر المصدر نفسه ٤٣٠/٥ .
- (٦٦) ينظر مقدمة ابن خلدون ٧١/٢ .
- (٦٧) ينظر البداية والنهاية ١٧١/١ ، وروح البيان ٢٣٣/٥ .
- (٦٨) ينظر المصدر نفسه ١٧١/١ .
- (٦٩) سورة البقرة : ٢٥٨ .



- (٧٠) ينظر فتح القدير ٣٧٥/١.
- (٧١) ينظر البداية والنهاية ١٧١/١ .
- (٧٢) سورة الكهف : ٧٩.
- (٧٣) ينظر مقدمة ابن خلدون ٢٠/٢.
- (٧٤) هامش البداية والنهاية ٣٤٧/١.
- (٧٥) ينظر المصدر نفسه ٣٤٧/١.
- (٧٦) ينظر مقدمة ابن خلدون ٢٠/٢.
- (٧٧) ينظر الكامل في التاريخ ٤٧/١.
- (٧٨) ينظر البداية والنهاية ٢٤٢/١.
- (٧٩) المصدر نفسه ٢٤٢/١.
- (٨٠) الكامل في التاريخ ٤٧/١.
- (٨١) سورة يوسف : ٤٣.
- (٨٢) سورة يوسف : ٤٣.
- (٨٣) البحر المحيط ٢٤/٧ والكامل في التاريخ ٤٧/١.
- (٨٤) التحرير والتنوير ٢٤٧/٧.
- (٨٥) سورة الدخان : ٣٧ .
- (٨٦) سورة ق : ١٤ .
- (٨٧) ينظر الإكمال ٨٤/١.
- (٨٨) ينظر تفسير القرطبي ١٤٤/١٦.
- (٨٩) المصدر نفسه ١٤٤/١٦.
- (٩٠) المصدر نفسه ١٤٤/١٦.
- (٩١) المصدر نفسه ١٤٥/١٦.
- (٩٢) ينظر المصدر نفسه ١٤٥/١٦.
- (٩٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٩/١٣.
- (٩٤) مسند أحمد ٣٧ / ٥١٩.

---

(٩٥) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٩/١٣.

(٩٦) ينظر تفسير الطبري ٤٠/٢٢.

(٩٧) ينظر المصدر نفسه ٤٠/٢٢.

(٩٨) تفسير القرطبي ٢٧٠/١٣.